

مهمات في العقيدة والمنهج

لفصيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد كفاء ما أرشد وبين وعلم وكفاء ما جاهد في الله حق الجهاد، وعلى الآل والصحب أجمعين.

أما بعد.. فيا أيها الإخوة.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

هذه الصلة [...] لدي وإليّ بأن فيها الدعوة إلى الله جل وعلا وإن بعدت الديار، وهذا مما نرجو أن يكون فيه نصرة لدين الله جل وعلا عبر هذه الوسائل الحديثة.

وإني أشكر الإخوة في جمعية إحياء التراث فرع الجهراء على ما ألحوا به من الاتصال وأبدوا فيه من الرغبة المؤكدة على إقامة هذه المحاضرة عبر الهاتف، إذ لم يحصل التمكن من الحضور شخصياً، لهم الشكر والدعاء بالتوفيق والإعانة على ما فيه نصرة الحق والسنة.

هذه المحاضرة:

مهمات في العقيدة والمنهج

ولا شك أن هذا الموضوع موضوع مهم؛ لأن الساحة الآن تحتاج إلى ارتباط بالعمل الإسلامي بعامة وبالعلم الشرعي وفي النظر إلى ما حول المرء من أحداث ومن أشخاص ومن أطروحات ومناهج مختلفة، وأساس ذلك ومرجعه فهم العقيدة - عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم - وفهم منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم؛ إذ العقيدة والمنهج عليها المرتكز.

[المنهج وعلاقته بالعقيدة]

في الحقيقة المنهج داخل ضمن العقيدة؛ لأننا لو نظرنا إلى عقائد السلف الصالح ودرسنا كتبهم المختصرة والمطوّلة وجدنا أن المنهج بعض هذه العقيدة.

المنهج معناه السبيل والطريقة التي يكون عليها أهل السنة أتباع السلف الصالح، والسبيل والطريقة التي بها يتعاملون مع من حولهم؛ كيف يتعاملون مع المسلم؟ كيف يتعاملون مع الكافر الحربي؟ كيف يتعاملون مع المعاهد والمستأمن؟ كيف يتعاملون مع المسلم العاصي؟ كيف يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ كيف يتعاملون مع ولاية الأمور؟ كيف يتعاملون مع أهل العلم؟ كيف يتعاملون مع سلف هذه الأمة؟

هذا المنهج والطريق في التعامل هي موجودة في كتب العقيدة.

لهذا إذا قلنا: المنهج، فإننا نعني به بعض الاعتقاد؛ ولأن المنهج داخل ضمن العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة.

هذا إذا رأيت «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة رَحِمَهُ اللهُ وجدت أن

وضع فصولاً تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالتعامل مع ولاية الأمر والتعامل مع خلافات والاجتهادات المختلفة، وهذا ما يسميه المعاصرون بالمنهج ...

العقيدة إذن والمنهج بينهما عموم وخصوص، فالمنهج خاص والعقيدة عامة، والعطف عطف المنهج على العقيدة هذا لأجل الاهتمام به كما عطف العمل الصالح على الإيمان في آيات كثيرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿مريم﴾، والآيات التي فيها عطف العمل الصالح على الإيمان معناها أن العمل الصالح هو بعض الإيمان وجزء من مسمى الإيمان؛ لكن عطف عليه لأنه مهم، فالعطف عطف الخاص على العام من علم المعاني في البلاغة ومقتضاه الاهتمام بهذا الخاص، وإفراد هذا الخاص بالذكر لأجل التنبيه عليه.

[ضوابط ومهمات]

فإذن موضوع هذه المحاضرة مهمات في العقيدة والمنهج، ولا شك أن ضوابط العقيدة والمنهج العامة التي نحتاج إليها كثيرة متنوعة؛ لكن نبه إلى مهمات منها كما غنونا لهذه المحاضرة.

[المهمة الأولى: العقيدة هي أول ما يدعى إليه]

من ذلك وهي أولى هذه الضوابط العامة والمهمات أن العقيدة هي أساس الدين وأساس الملة، هي التي بعث الله جل وعلا بها الأنبياء والمرسلين جميعاً، وهي الإسلام العام؛ اشترك فيه الأنبياء والمرسلون، هي العقيدة العامة التي دعا إليها الرسل جميعاً، فهي أولى المهمات وأولى الأولويات لحظ ذلك وتبينه لقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كذلك في قوله: ﴿لَيْسَ إِلَٰهٌ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ إِلَٰهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] هذه هي أصول الاعتقاد؛ أركان الإيمان ستة، ذكر في هذه الآية خمسة وفي آية أخرى^(١) ذكر الإيمان بالقدر.

العقيدة من جهة الاهتمام بها -اهتمام المسلم بها- يجب أن تقدم على غيرها.

كذلك العقيدة أولاً في الدعوة؛ لأنها إذا صلحت العقيدة في النفوس صلح العمل واثلف على الناس على شيء واحد وعلى قلب واحد، والحظ هذا بقول النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»^(٢) هذا من الأحاديث التي تبين لك أنه يبدأ بالأهم فالأهم، كما ذكر ذلك إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل «كتاب التوحيد» على معاذ قال: فيه البداءة بالأهم فالأهم.

دل على أن التوحيد هو أهم المهمات وأوجب الواجبات؛ العقيدة، لتصحيح عقيدة الناس وفي بيان

(١) ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

(٢) البخاري، حديث رقم (١٤٥٨). مسلم، حديث رقم (١٩).

ما تصلح به قلوبهم، معلوم أن بيان العقيدة يحصل بقدر ما يحتاج إليه، فلا يُتحدث مع الناس بأمر الاعتقاد كما يُتحدث الخاصة؛ بل أمور الاعتقاد بحسب ما دلت عليه النصوص فيدعى الناس إلى ما دلت عليه النصوص في أمور العقيدة فيبين للناس ما يجب عليهم من أمر الاعتقاد.

لما سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في كلامه على آيات الصفات وعلى أحاديث الصفات وقيل له: إنك فاتحت بها العوام. قال: أما قولكم: (فاتحت بها العوام وتحدثت بها مع العوام)، فلم أحدث عامياً بتلك المسائل قط.

لأن تفرعات الاعتقاد التي تناسب الخاصة لا تناسب العامة. فالعامة يُدعون إلى أركان الإيمان بالله بأسمائه بإجمال وتفصيل يناسبهم، وكذلك بقية أركان الإيمان ومن ضمنها الإيمان بالقدر، فإن العامة يناسبهم ما لا يناسب غيرهم.

إذن من المهمات في العقيدة أن تعي أن العقيدة أولاً، العقيدة هي أول ما يُدعى إليه، وهذه هي دعوة الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم.

ترك هذا التأصيل وترك هذه الأولوية يسبب أنواعاً من الانحراف في الأمة؛ لأن الاجتهادات إذا كثرت في أول ما يبدأ به في ترتيب الأولويات فإنه سيحصل خلل في منهج التعامل وفي الدعوة، وسيحصل هناك فُرقة؛ لأن العقول مختلفة ومصلحة الدعوة مختلفة عند الناس، فإذا لم نرجع فيها إلى كلمة سواء من القرآن والسنة فإن الاجتهادات ستكثر، بالتالي الافتراق سيزيد ويكثر في هذه الأمة، والله جل وعلا أمرنا بالاعتصام بحبله وعدم التفرق فقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو الكتاب والسنة والإسلام والعقيدة الصحيحة والشرعية التي جاءت في القرآن والسنة، ثم قال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فيعم ذلك جميع أنواع التفرق في الدين وفي الدنيا؛ والتفرق في الأبدان يكون نتيجة للتفرق في الدين.

فإذا لم نجتمع إلى كلمة واحدة في الدين بما دلت عليه النصوص فسوف يؤول الأمر إلى افتراق في الأبدان، كما قال جل وعلا عن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤] ﴿فَنَسُوا﴾ يعني تركوا حظاً ونصيباً مما ذكروا به وأخذ عليهم فيه الميثاق نسوا ذلك وتركوه مع العلم به ومعرفته أغريت بينهم وألقت بينهم العداوة والبغضاء، وهذا نراه اليوم فيما بين المهتمين بالإسلام.. والمهتمين بالعمل الإسلامي بعامة وبينهم ما بينهم من حبائل الشيطان في التفريق بين الصفوف وذلك لأسباب كثيرة منها عدم الرجوع إلى كلمة واضحة في تحديد أولويات الدعوة وفي تحديد ما يجب السعي به في هذا الأصل. إذن المهمة الأولى هي أن تكون العقيدة أولاً في الدعوة إلى الناس.

ولا شك أن هذا يختلف باختلاف البلاد واختلاف الحاجة، فإذا كان الناس أحوج إلى العقيدة بدئاً بها، إذا كان الناس على عقيدة صحيحة فإنه يُنظر ما يحتاجه الناس، كما قال عليه الصلوة والسلام: «فإن هم أجابوك إلى ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة».

إذن في العمل يأتي بعد العقائد بتفصيلاتها إذا كان الناس قد استقوا بفهم العقيدة الصحيحة ولم يكن بينهم شحن.

[المهمة الثانية: عقيدة ومنهج السلف الصالح هي السبيل الوحيد للنجاة]

والمهمة الثانية في العقيدة والمنهج أن نعلم أن عقيدة السلف الصالح ومنهج السلف الصالح هو النهج الواحد الذي يجب أتباعه، وهو الذي فيه نجاة الناس؛ لأن النبي ﷺ بين لنا أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كلها في النار إلا واحدة هي الجماعة»^(١) وفي لفظ آخر قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٢) وهذا يدل على أن المنهج الصحيح والعقيدة الصحيحة إنما هي بطريقة الجماعة، طريقة الصحابة، طريقة السلف الصالح. ومعلوم أن طريقة الصحابة في العقيدة والمنهج واحدة واضحة بينة؛ فلم يختلف الصحابة في مسألة من مسائل الاعتقاد قط.

وكذلك التابعون لهم والتابعون لهم بإحسان، وإنما اختلفوا في مسألة واحدة - يعني من تأخر - وهي مسألة اللفظ كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ؛ يعني في مسألة هل يقال: لفظي بالقرآن مخلوقا أو لا يقال.

مع أن الصحيح أن هذه المسألة أنه لا يطلق بها القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق؛ لأن اللفظ القائل (لفظي بالقرآن مخلوق) هذا مجمل، كما هو معلوم بتفصيل في موضعه. المقصود من هذا أن نبين لك أن المهمة الثانية التي يهتم بها كل داع إلى الحق على بصيرة أن يعلم أن العقيدة - عقيدة السلف الصالح وطريقة السلف الصالح - هي النجاة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث الافتراق «كلها في النار إلا واحدة» الذي يريد النجاة يستمسك بسفينة نوح في هذا الزمن وهي عقيدة السلف الصالح أتباع أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر، الذين بينوا منهاجا واضحا وعقيدة واضحة لا كبس فيها ولا غموض.

[المهمة الثالثة: عقيدة ومنهج السلف الصالح صالحة لكل زمان ومكان]

المهمة الثالثة في العقيدة والمنهج أن نعلم أن هدي السلف الصالح وعقيدة السلف الصالح ومنهاج أهل السنة والجماعة هذا صالح لكل زمان ومكان؛ لأن به النجاة. فلا يقال: هذا ناسب أزمنة مضت، واليوم لا بد من أطروحات جديدة؛ لأن الافتراق الماضي والحالي كلّه بينه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبين الفرق كلها ستكون في النار إلا من كان على مثل ما هو عليه وأصحابه.

(١) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٥٩٧). سنن ابن ماجه، حديث رقم (٣٩٩٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) جامع الترمذي، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. قال الشيخ الألباني:

حسن.

فإذن النجاة الحقيقية في هذا المنهاج، وهذا المنهاج كما صلح للأولين فهو صالح للآخرين، وكما أصلح أول الأمة فإنه هو المؤهل الوحيد لإصلاح آخر هذه الأمة؛ وذلك لأسباب وخصائص في هذا المنهج.

[منهج أهل السنة والجماعة منهج شامل]

من خصائص منهج أهل السنة والجماعة أنه منهج شامل لكل ما يحتاج إليه، فهو شامل من جهة أنواع التعامل المختلفة، كتعامل الإنسان مع نفسه، يشمله منهج أهل السنة والجماعة، تعامله مع المؤمنين، محبته لأهل الإيمان، موالاة أهل الإيمان بقدر ما هم عليه من الإيمان، هذا من أصول هذا المنهج كما قال جل وعلا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] ويؤمنون بالله.

وكذلك تعامل المؤمن مع أهل العصيان هذا واضح في الكتاب والسنة، واضح في منهاج أهل السنة والجماعة، كيف يتعاملون في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ذلك ذكره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية - التي أوصيكم بها كثيرا - ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال في وصف أهل السنة والجماعة: (وهم مع ذلك يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة) قال شراح «العقيدة الواسطية»: قوله: (على ما توجبه الشريعة) أوضحه شيخ الإسلام في مواضع آخر من كتبه وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه وأحواله وأحكامه يختلف فيها الناس فالمعتزلة لهم طريقة والخوارج لهم طريقة وفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهل السنة والجماعة لهم فهم، فعندك الخوارج غلوا في ذلك حتى جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحلل به الدماء؛ دماء المسلمين ودماء الكافرين؛ بل وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام بقوله وصف الخوارج بقوله: «يقتلون أهل السنة ويدعون أهل الأوثان»^(١) وكذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعتزلة رأوا أن ذلك معناه الخروج على الحكم وسفك الدماء إذا كانت المصلحة مظنونة في الخروج عليهم ستحدث نصرة للإسلام وأهله.

ومعلوم من قواعد أهل السنة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون إذا غلب على الظن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانتفاع، وفي النهي عن المنكر الأمر بالمعروف إذا غلب على الظن الانتفاع وجب كما هو قول كثير من أهل العلم من أهل السنة، إذا غلب على الظن كما قال الله جل وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۖ﴾ [الأعلى]، أو جب التذكير إذا غلب على الظن الانتفاع، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۖ﴾.

وأما النهي عن المنكر فإنه لا ينهى عن منكر حتى يتيقن صاحبه المنهي عن المنكر سينقل منه إلى ما هو أحسن، فإذا كان احتمال أنه سيحصل من هذا المنكر مفسد آخر فإنه لا يجوز له أن ينهى عن المنكر

(١) البخاري، برقم: (٦٩٣٣). مسلم، برقم: (١٠٦٤).

إلا إذا تيقّن أنه ستكون العاقبة، المصلحة محضة وألا تكون المفسدة عامة، وأما إذا كان هناك إضرار بشخص واحد إذا نهاه عن منكر فإنه يغتفر فيه.

لكن في الأمور المتعلقة بالأمة فإن النهي عن المنكر يجب أن يكون مع التيقن بأن المصلحة حاصلة، أما إذا قيل: ربما تكون المصلحة وربما لا تكون راجحة يحدث مفسد، فدرء المفسد مقدم على جلب المصالح كما هي القاعدة المقررة في قواعد الفقه.

كذلك الصوفية، الصوفية حينما نظروا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عطلوه لم يأمرُوا ولم ينهوا؛ بل سلكوا طريقاً في التربية غريبة.

فلهذا يخالف أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح يخالفون هذه الفرق الغالية في الأمر والنهي مثل الخوارج والمعتزلة ومن شابههم، والجافية في الأمر والنهي وهم الصوفية وأهل الشهوات ويسلكون مسلكاً وسطاً؛ وهو أنهم يأمرُون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ليس على أهوائنا وعقولنا؛ بل على ما جاء في النصوص: آداب وشرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كذلك في التعامل مع الكفار، كذلك هم لهم ضوابط كما جاء في الشرع، التعامل مع الكافر المستأمن الذي دخل بعهد وأمان وكما جاء في الحديث «المسلمون يسعون بذمتهم أدناهم»^(١)، ليس التعامل معه كال تعامل مع الحربي الذي بذل البغض والعداوة لله، والله جل وعلا بين لنا ذلك في القرآن في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢) الذين لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من الديار ولم يظهروا العداوة لنا وبيارزوننا بالمعاداة فهؤلاء نعاملهم بالقسط نقسط إليهم ونحسن إليهم كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يحسن مع من كان في المدينة من أهل الكتاب المستأمنين.

إذن من أنواع التعامل المختلفة يتبين لك أن الشريعة والعقيدة - عقيدة أهل السنة والجماعة - متصفة بأنواع الشمولية، شاملة لطبقات المجتمع: كيف نواجه المسلم؟ كيف نواجه الحربي؟ كيف نواجه العاصي؟ كيف نواجه المبتدع؟ كيف نتعامل بأنواع التعامل المختلفة؟ ففيها شمولية. ولهذا يخطئ من يقول: إن عقيدتنا ينبغي أن تكون عقيدة سلفية ولكن تكون المواجهة مواجهة عصرية.

هذا من الأغلاط؛ لأن العقيدة السلفية تشمل المواجهة فالمواجهة جزء من العقيدة؛ لكن كيف تكون المواجهة؟ يجب أن يرجع فيها إلى ضوابط السلف الصالح بنوع المواجهة.

المواجهة مع الحاكم بضوابط بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفي إقامة الحجة عليه، ومن نصيحته، هذا يتبين في النصوص آية ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. كذلك المسؤولين المختلفين فيه ضوابط.

(١) «سنن أبي داود»، حديث رقم (٢٧٥١)، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. «سنن ابن ماجه»، حديث رقم (٢٦٨٣).

ذلك المواجهة مع المبتدع، مع الكافر، مع العاصي، في الجهاد، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... كل هذه منهاجها بين.

فالعقيدة منهاجها شامل لكل ذلك، شامل لجميع ما نحتاج إليه في أنواع التعامل، فالعقيدة سلفية والمواجهة أيضا يجب أن تكون سلفية حتى نكون قد برئنا من العهدة واتبعنا النص من الكتاب والسنة، وأمر الله غالب ولكن أكثر الناس لا يعلمون كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

[أهل السنة لا يعاملون من عاداهم بالمثل]

أيضا خصائص هذه الشريعة من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح أنهم يعاملون من عاداهم بما لا يعاملهم به من عاداهم، فهم إذا رأوا عدوا لهم أو خصما لهم أو من وقع فيهم فإنهم لا يقعون فيه بالهوى كما وقع فيهم، لهذا لا يكفرون من كفرهم، ولا يبدعون من بدعهم، ولا يفسقون من فسقهم، إلا بحجة؛ لأنهم تخلصوا من أهوائهم ورجعوا إلى ما يدور عليه النص فليس لهم هوى، لهذا الأصل فيهم أن منهج أهل السنة والجماعة ليس منهجا مبنيا على الأهواء وإنما هو منهج مبني على ما يقرره أئمة السنة من فقه الكتاب والسنة بأنواع المعاصي.

التعامل مع من يتعدى عليهم لا يكون بالتعدي، فمن تعدى علينا لا يلزم أن نتعدى عليه -يعني بالكلام- بل نرعى الله فيه، ونتقي الله فيه، فلا نتكلم إلا بما أذن لنا أن نتكلم فيه.

وأهل السنة في هذا يراعون قول الله جل وعلا: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، فهم رحمهم الله وفي عقائدهم بينوا أنهم لا يبدعون من بدعهم ولا يكفرون من كفرهم ولا يفسقون من فسقهم؛ لأن هذه ليست إليهم؛ بل هذه الألفاظ إذا تعدى عليهم بها فإنهم يتقون الله فيمن قالها ولا يتعدون عليه في ذلك ويسعون إلى امتثال قول الله جل وعلا: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

[سعي أهل السنة للاجتماع]

فإذن من خصائص أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح؛ من خصائص عقيدتهم ومنهجهم أنهم يسعون إلى الاجتماع والاتلاف، وينهون عن الفرقة والاختلاف كما دونوا ذلك في عقائدهم.

فكل سلفي مهتم بعقيدة السلف الصالح، متابع لها، يجب عليه أن يسعى إلى الاتلاف وأن ينهى عن الاختلاف، وخاصة مع من هو على عقيدته ومن هو على مشربه، فإنه لا يسوغ له أن يتعدى عليه؛ بل يجب عليه أن يكون يجمعهم على ما يحب الله جل وعلا ويرضى، ويرعى أن يتعد عما يفرق كلمة أهل الإيمان؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والحظ قول الله جل وعلا هنا: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني أحسن ما تجد قلبه حتى لا يكون ثم نفرة أو ثم مدخل للشيطان بين النفوس من جرّاء كلامك، وكما تعلمون أن الفرقة إنما تبتدئ أولا بكلام ثم تكبر وتكبر حتى تعود الإخوة إلى فرق شتى، ولذلك يجب أن نمثل منهج أهل السنة والجماعة لأن يكونوا مؤتلفين متحابين

قائلين لإخواننا أحسن ما نجد، وإذا كان ثمَّ اختلاف في بعض المسائل يجب أن يرجع الجميع إلى العقيدة الواضحة والمنهج الواضح بتحكيم أهل العلم في ذلك حتى يكون لهم كلمة واحدة حتى يصدروا عن رأي واحد وتقوى شوكتهم.

[النص مقدم على العقل عند أهل السنة]

من خصائص أهل السنة والجماعة أنه منهج مبني على تحكيم النصوص وترك العقل، فالعقلانيون هؤلاء يفرعون المنهج يفرعون في المصالح المتوهمة ما لم تدل عليه النصوص؛ بل تكون النصوص دلت على شيء وكلام أهل العلم من أهل السنة يدل على شيء، وهم يذهبون إلى أنحاء أخرى. فمن أصول منهجنا أننا ندع العقل للنص، إذا جاء النص فلا مجال للاجتهاد، لا مجال للإعمال العقل، والمصلحة توجد حيث وجد الشرع حيث وجد الشرع فثم المصلحة، وليس العكس كما يقوله من لم يوفق يقولون: حيث وجدت المصلحة فثم شرع الله. لا، حيث وجد الشرع فثم المصلحة، وهذا من أصول أهل السنة فيما دونوه وفيما يحكمون به.

فترى أنهم في مسائل التوحيد قدّموا النص على العقول والأقيسة في الصفات؛ بل كان منهج العقلي هو منهج أهل البدع، كذلك من المنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقوق ولاية الأمر، إنما يقدمون ما دلت عليه النصوص طارحين العقل إلا فيما للعقل فيه مجال للاجتهاد.

فإذا وجد الأصل فلا مجال للعقل إلا لفهم النص، أما أن يقال: المصالح المختلفة تضاد النص فهذا مخالف..^(١)

[المهمة الرابعة: اهتمام أهل السنة بإنقاذ الناس من الضلال]

نرجع إلى أصل الموضوع ونتقل إلى المهمة التي يعدها من مهمات العقيدة والمنهج أن من المهمات في عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح أنهم يهتمون بإنقاذ الناس من عذاب الله جل وعلا، وهذا أصل عام في دعوتهم، وأنهم في دعوتهم يريدون إنقاذ الناس من عذاب الله جل وعلا، ليس لهم غايات وإنما الغاية هو تحقيق عبودية الناس لرب العالمين.

وقد ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام كان له غلام يهودي يخدمه، فافتقده النبي عليه الصلاة والسلام، فلما افتقده النبي عليه الصلاة والسلام سأل عنه فقيل له: إنه مريض. فذهب عليه الصلاة والسلام ليزوره فلما زاره وجدته في مرض شديد - قال: «يا غلام قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وكان بجانب الغلام والده فالتفت إلى أبيه - كأنه يستشير هل يقول أم لا يقول - واليهود كما هو معلوم يعلمون أن الحق مع النبي عليه الصلاة والسلام ولكن يكابرون فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فقال والد الغلام له: أطع أبا القاسم. فلما قال هذا قال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

(١) انتهى الوجه الأول من الشريط.

تهلhel وجه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فرحا بإسلام الغلام.^(١)

هَذَا غلام صغير في النزع الأخير من الموت صار لأجله حركة من رأس هذه الأمة وهو المصطفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لزيارته ولدعوته إلى الله جل وعلا، لم ينظر هل هذا الغلام الذي في مرض الموت هل أنتفع أنا منه أو لا أنتفع، هل يكسب الدعوة قوة أو لا يكسب الدعوة قوة، وإنما المقصود أن تكون هذه النفس مسلمة لرب العالمين، شاهدة شهادة الحق لنا مصلحة وقوة أو ليس كذلك، هذا ليس إلينا، المهم تعبيد الناس لرب العالمين جل وعلا.

هَذَا تلحظه في سورة يوسف عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام دعا بدعوته هذه وهو في السجن، دعا إلى التوحيد وهو في السجن مع السجناء، دعا إلى التوحيد وهو في أعلى مستوى في مصر، أي في كل حال، في هذا الحال وهذا الحال، وهو سجين وهو في أعلى المستوى في مصر، دعا إلى دعوة واحدة.

فتبين من ذلك أن هذا المنهج يمشي معنا دائما سواء أسلم الناس أو أطاع الناس أو لم يطيعوا، ليس هذا من شأننا، إنما شأننا أن تكون دعوتنا الغرض منها إنقاذ الناس من سخط الله، إنقاذ الناس من عبادة غير الله، إنقاذ الناس من النار حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الحمد لله الذي أنقذه الله بي من النار».

فمنه نعلم أن من لم يجعل هذا الهدف هدفه فإنه خالف منهج أهل السنة والجماعة، فإن المقصود إنقاذ الناس، ليس المقصود المصالح المختلفة للدعوة الدنيوية التي يُظن أنها وسيلة لتحصيل الخير، لا، المقصود من ذلك أن يُتعبّد لله جل وعلا رب العالمين، وأن تكون الصلة بالناس صلة لأجل إنقاذ الناس. ولهذا ترى أن أكثر أهل السنة والجماعة في القرون المختلفة لم يدخلوا في الدول أصلا، أئمة الحديث وأئمة السنة وأعلام الإسلام لم يدخلوا مع الملوك ولم يدخلوا مع الخلفاء، رغم أنه ربما يبدو للذهن أنهم لو دخلوا معهم كان فيه إصلاحا عظيما وفعلوا وفعلوا لكنهم ما اختاروا ذلك لأن الناس يتقبلون ما هم عليه ويقبلون عليهم وما احتاجوا إلى هذا.

وهذا الأمر لا شك أنه من المهمات في أن هدف الدعوة محدد، والغرض منها هو دعوة الناس وتعبيد الناس لرب العالمين، سواء كان المقبل على هذه الدعوة كثرة أم كان المقبل عليها قلة فإن هذا ليس هو الذي نعينه، وإنما يعيننا أن يستجيب الناس لرب العالمين جل جلاله وتقدسست أسماؤه.

نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما لم يؤمن معه إلا قليل، وهذا القليل كانوا شيء وثمانين أو شيء وسبعين وفي بعض الروايات أنهم كانوا بضعة عشرة ما بين رجل وامرأة، وهذه حصيلة دعوة واحدة لم تتغير بألف سنة إلا خمسين عاما.

فإذن من المهمات في الدعوة والمنهج أنه إذا اختلف الناس وتنوعوا في أطروحاتهم أننا لا نغير؛ لأن أهل السنة لا يستخفهم الذي لا يوقنون، الله جل وعلا أمرنا بالصبر وألا أن نغير مع تغير الناس غايات دعوتنا، نعم الأساليب قد تتغير كما تغيرت أساليب السلف في الكتابة وفي الذهاب والرحلات إلى غير

(١) البخاري، حديث رقم (١٣٥٦).

ذلك؛ لكن غايات الدعوة واحدة كما قال سبحانه لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (١٠) [الروم]، ولاحظ هذا النهي: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ لأن الداعية إلى الله جل وعلا قد يترك الصبر ويستخفه الذين لا يوقنون ويذهب إلى أساليب أخر لم يأمر الله جل وعلا بها ولم يرضها نبيه ﷺ.

وهذا يدلنا على أن الغاية إذا كانت واضحة واحدة فإن الصبر عليها مهما تطاول الزمان هو المنهج الصحيح، فاصبر عليها ولو لم يؤمن أحد، ولو لم يؤمن إلا قليل، فالأنبياء منهم من لم يؤمن به أحد، كما جاء في حديث الصحيح «يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، ويأتي النبي ومعه الرهط، ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان» (١).

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رأى رؤيا أيضا -ورؤياه حق- وأن النبي جاء وليس معه أحد ويأتي النبي وليس معه إلا الرجل والرجلان.. وهكذا.

إذن فهو يدلنا على أن الاغترار بالكثرة هذا ليس من منهجنا، إذا حصلت الكثرة مع الثبات على المنهج فهذا خير، وهذا توفيق مع الله جل وعلا، أما لأجل تحصيل الكثرة نترك أصوليات المنهج ونترك أولويات الدعوة ونترك ما دل عليه كلام ربنا وكلام نبينا ﷺ، فهذا ليس من منهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

ولهذا الحظ ما جاء في سورة يوسف عليه السلام وهي السورة التي عُنيت بالدعوة وأخلاق الداعية والابتلاء الذي يحصل لأهل الدعوة وما أشبه ذلك، في آخرها ذكرت مهمات عظيمة وذكرت أصول عظيمة في الدعوة منها قوله جل وعلا: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) [يوسف]، وقال في نفس السورة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) [يوسف] وقال في آخرها -في الصفحة الأخيرة كل هذه الآيات- قال جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ بعدما نهى عن الاغترار بالأكثر قال لنبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) [يوسف]، وبعدها قال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) [يوسف].

إذن المسألة ليست مسألة استعجال، المسألة أن تسير على المنهج المأذون به شرعا، وهذا المنهج قد بينه أئمتنا أهل السنة والجماعة، فلا لبس فيه ولا اضطراب والله الحمد ولا اختلاف، فنصبر عليه وندعو إليه مهما تطاول الزمان، وإن كثر الناس فنعمة، وإن لم يكثروا ولم يستجيبوا فهذه حكمة الله جل وعلا ولا نترك أصول منهجنا لأجل تحصيل أشياء مظنونة.

فنحن نتعبد بالسَّير على هذا المنهج، وأما هدى الناس فإنه إلى الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

(١) البخاري، حديث رقم (٥٧٥٢). مسلم، حديث رقم (٢٢٠).

إذا تبين لك ذلك واتّضح لك هذا الأصل الأصيل فقارن ما بين دعوة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مكة وما بين دعوته في المدينة، ففي مكة ثبت على كلمة واحدة، أرادوا منه أن يُدهن وأن يداهن، أن يكون بينه وبين المشركين شيء من التفاهم فأنزل الله جل وعلا سورة عظيمة وهي سورة الكافرون ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾، إلى آخر السورة، كذلك أنزل عليه قوله جل وعلا: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]، وأنزل عليه قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴿[الإسراء] الآيات.

وفي المدينة بقت سنين بينه وبين المشركين حرب ما استجاب أحد إلا قليل وكانت الاستجابة أكثر من مكة؛ ولكن المنهج واحد والثبات عليه واحد، ولكن في آخر سنيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المدينة أتى الناس أفواجا إلى الإيمان آمن في سنتين أو ثلاث سنوات أكثر من مائة ألف، وحصيلة عشرين سنة كلها لا تزيد عن ألفين أو ثلاثة آلاف.

إذا كان كذلك فبين لنا أن الله جل وعلا حكمته قاضية وعلينا الثبات على المنهج والصبر عليه على أولوياته واستجابة الناس لذلك هذه إلى الله جل وعلا.

نعم، في الوسائل علينا أن نطرق جميع الوسائل الممكنة للتأثير والدعوة -دعوة الناس- إلى منهج السلف الصالح وإلى سعته وشموله لأن أحق المناهج في الواقع باستجابة الناس هو منهج السلف الصالح؛ لأنه هو ذو الاعتقاد الصحيح وذو الطريقة الواضحة وهو الذي يوافق الفطرة ويوافق ما عليه الناس.

لكن قد يقصر أصحاب المنهج الصحيح بعدم طلاق جميع الوسائل الممكنة بالتأثير على الناس بهذا المنهج، فنؤثر على الناس بوسائل الإعلام المختلفة، نؤثر على الناس بكل شيء ليس فيه مناقضة أو مخالفة لمنهج أهل السنة، الوسائل إذا كانت مشروعة فنحن أولى بها، وإذا أشكل الحكم في بعض الوسائل يرجع إلى أهل العلم.

هذه بعض المهمات، لاشك أن هناك أشياء أخرى تتعلق بهذا الموضوع -موضوع المحاضرة- وهو مهمات في العقيدة والمنهج ونرجئها إن شاء الله تعالى إلى وقت آخر في محاضرة قادمة.

أسأل الله ﷻ لي ولكم التوفيق والسداد والعون والرشاد وأن يجعلنا من أنصار دينه المجاهدين في سبيله الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، الباذلين وقتهم في سبيل الدعوة إليه.

ونسأله سبحانه أن يثبتنا على الحق، وأن لا يضلنا بعد إذ هدانا، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، فإنه سبحانه جواد كريم.

وأسأله سبحانه لي ولكم ولإخوتنا أهل الإيمان التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يعيذنا من شر أنفسنا والشیطان، وأن يقينا شر الغفلة، فإن الغفلة إذا استحكمت على القلوب أضرت بها.

فنسأله سبحانه أن يفتح بنا أبواب الخيرات وأن يغلق علينا أبواب الشرور والمنكرات، وأن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

[الأسئلة]

نأخذ خمسة أسئلة فقط.

سؤال (١): يسأل السائل ويقول: هل هناك فرق بين المنهج والعقيدة؟ وهل القدح في المنهج يوجب القدح في العقيدة؟

الجواب: أما الفرق بين العقيدة والمنهج قد بيته في أول المحاضرة فُرجع إليها. وأما القدح في المنهج يعتبر قدحا في العقيدة، فالمنهج إذا كان القدح فيه؛ في أصوله فلا شك أن هذا يعتبر قدحا في العقيدة؛ يعني إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر على طريقة الخوارج أو على طريقة المعتزلة فهذا قدح في العقيدة، كذلك إذا عامل المؤمنين بغير المعاملة التي ذكرت في منهج أهل السنة والجماعة يعني في أصلها كفر أهل الإيمان أو بدعهم وتولى غيرهم ومدح أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والأشاعرة ونحو ذلك فهذا قدح أيضا في المنهج. وكذلك إذا عامل ولاية الأمور بغير التعامل الشرعي فدعا إلى الخروج عليهم بالسلاح هذا لا شك أنه قدح في المنهج.

فإذن أصول منهج أهل السنة والجماعة في أنواع التعامل، أصول المنهج إذا خالفها فإنه يكون مخالفا للعقيدة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة.

لهذا كان السلف يذكرون عن فلان مثلاً يقولون: كان فلان يرى السيف، يعني يرى الخروج بالسيف على ولاية الأمر الشرعيين الذين تجب لهم الحقوق الشرعية كالسمع والطاعة والبيعة إلى آخر ذلك. وأما إذا كان الخلاف في بعض فروع المنهج التي يسوغ فيها الاجتهاد، فهذا لا يخرج عن العقيدة، فالعلماء اختلفوا في بعض مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يوجب ذلك أن من خالفهم خالف الاعتقاد.

وضابط ذلك أن نقول:

ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أصول المنهج وفروعه فإن اختلاف أهل السنة وأئمة الأثر وأئمة السلف في ذلك يعد خلافا في العقيدة.

وإذا كانت المسألة بينهم خلاف في مسائل بعض تفرعات المنهج فإنه قد يكون في بعضها خلافا سائغا.

وإذا كان شيئا في ذلك في حيز التطبيق، يعني ما أريد من أخوة أن ينزلوا كلامي على بعض ما في أذهانهم فقد يكون في ذهني ما في أذهان المستمعين - فلهذا إذا أشكل شيء يعرض بخصوصه ليكون الجواب هل هذه تخالف العقيدة أو لا تخالف العقيدة والله أعلم.

سؤال (٢): تعلمون يا شيخ ما يدور في الساحة الدعوية هذه الأيام من الفتن والنزاعات، ترون يا شيخ من يحاول أن يربي الشباب السلفي على منهج مخالف لما يقره السلف ويخالف ما يقرره العلماء كسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وسماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وغيرهم من علماء الأمة

فما موقفنا منهم؟

الجواب: هذه المسألة مسألة كبيرة ولا شك، ولا شك أن منهج أهل السنة والجماعة ومنهج السلف واضح بيته علماء الأمة في هذا الزمن، كسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، وكالشيخ العلامة والمحدث محمد ناصر الدين الألباني وكفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وغير هؤلاء العلماء المأمونين على منهج السلف الصالح.

نقول: إن المسائل التي يدعى فيها إلى غير منهج السلف أهل السنة والجماعة مما قرره أئمتنا وعلمائنا فيجب الحذر من هذا الذي دعا إلى خلافها والتحذير منه أيضاً؛ لأن هذا يؤثر على الناس، ولكن يكون التحذير بطريقة يمكن معها قبول الناس للحق؛ لأنه أحياناً يكون التحذير يغري بالاستمساك بما عليه الأول من الغلط والتعاطف معه، فإذا جاء بأسلوب علمي صحيح وإقناع ولم يكن فيه فضاضة وغلظة، فإن هذا يكون أدعى للقبول وأدعى لنسيان أو ترك المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة؛ لأن النفوس تميل إلى التعصب فإذا جاء من يغلط في بعض المسائل، قد يجهل الناس يستمسكون من التعصب يستمسكون بمقالة صاحبهم ولو كانت على غلط.

ولهذا نقول: لا شك أن الاستمساك بالسلف الصالح وما بينه سلف الأمة أن هذا واجب، والمخالف له يجب نصيحته ويجب أن يبين له ذلك فإن رجع فالحمد لله وإلا فيحذر الناس من ذلك بالطريقة الشرعية الصحيحة التي يكون معها التأثير وعدم فتح باب الفتنة.

سؤال (٣): يسأل طالب علم في بداية الطلب بماذا يبدأ وكيف يبدأ؟

الجواب: هذا لي مجموعة من المحاضرات والدروس تتعلق بمنهجية طلب العلم بعامة، منهجية طلب الحديث، منهجية طلب الفقه بخصوصها، منهجية طلب علم التفسير، منهجية طلب علم العقيدة. لي عدة محاضرات في ذلك، والدقائق القليلة هذه لا تمنحني أن أستعرض ذلك لأن الاختصار في هذا الموضوع قد يخل به، فأرجع الأخوة إلى ما سبق أن ألقيته من الدروس في هذا المجال، ولعلمهم يجدونها عندهم إن شاء الله تعالى.

سؤال (٤): هناك من يستدل بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي بات عند الرجل الحديث المشهور على جواز الكذب لمصلحة الدعوة، هل هذا يصلح أن يستدل به؟

الجواب: هذه ليست من أخلاق المؤمن ولا من صفاته؛ بل هو من صفات أخلاق أهل النفاق، ولا يجوز الكذب إلا في مواضع:

- الكذب في الحرب.

- وكذب الرجل على أهله على زوجه فيما فيه مصلحة الاجتماع والاتلاف.

- ونحو ذلك مما جاء بيانه في الحديث.

بعض العلم يرى أن ما كان فيه مصلحة شرعية متحققة يجوز الكذب فيها قياساً على الثلاث

المذكورة في الحديث، وردّ عليه طائفة من أهل العلم أيضا أنه لو كان كذلك لما أبيح المعاريض والمعارض جاءت إباحتها في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الذي روي بإسناد لا بأس به «المعارض مندوحة عن الكذب»^(١) معنى المعاريض أن يذكر لفظا يمكن أن يفسر بتفسيرين المتحدث يريد تفسيره له والسامع يفسره بتفسير آخر.

المعارض هذه لم تكون عند القاضي ولم تكن محلّوفا عليها فإنها لا بأس بها، أما إذا كان في مسائل الحقوق وفي مسائل القضاء أو فيما يحلف عليها فإنه حتى المعاريض لا تجوز.

لكن المعاريض فيها مندوحة عن الكذب فيما يتعامل به الناس إذا احتاجوا إليها، مع أن الأفضل تركها وأن يكون المرء واضحا فيما يقول.

وفي أمور الدعوة هذه تنقسم:

○ منها أشياء تنقسم يجوز فيها الكذب لمصلحة الدعوة العامة.

○ ومنها أشياء لا يجوز فيها.

وهذه لا بد فيها من علم شرعي يميز بين هذا وهذا، لكن الأصل عندنا أن الكذب لا يجوز إلا في الثلاث المذكورة في الحديث.

وأما غيرها فتنازع فيه أهل العلم والراجح أن يترك الكذب إلا لمصلحة شرعية عليا متحققة يرعاها أهل العلم في فتوى خاصة فهذا لا بأس به في أمور بجهد أو تتعلق مضرته سينضر إذا لم يكذب أناس كثير من أهل الإيمان أو أشباه ذلك وهذه لكل مقام مقال.

سؤال (٥): هل وسائل الدعوة توقيفية أو تتصل بالغايات، يسأل عن بعض الوسائل مثل التمثيليات والأناشيد وغيرها؟

الجواب: وسائل الدعوة هذه الكلام فيها كثر كما هو معلوم، هل هي توقيفية أو ليست بتوقيفية؛ لكن أصل ذلك أن يُعلم أن الدعوة عبادة لله جل وعلا، وغاية إذا كانت مقصودة فإن الوسيلة لها حكمها، بشرط أن لا تكون محدثة منها عنها؛ لأن الوسائل لها أحكام الغايات.

فهذه المسألة تحتاج إلى تفصيل مما يتعلق بقواعد المصالح المرسلة.

والمصالح المرسلة مسألة أصولية كبيرة ويمكن أن نختار فيها قول شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا المقام وهو أن ما لم يقم المقتضي لفعله في زمنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أمور العبادة أو في أمور الدنيا فإن إحداثه يعتبر من المصالح المرسلة، إذا لم يقم المقتضي لفعله في عهده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدخل في هذا النداء للجمعة الأول الذي فعله عثمان رضي الله عنه وجمع المصحف وكتابة الكتب إلى غير ذلك.

فإذن وسائل الدعوة قد تكون من المصالح المرسلة في بعض المقامات، وقد يكون وسيلة الدعوة هذه قام المقتضي لفعلها في عهده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وترك، وقام المقتضي بفعلها في عهد السلف

(١) ضعيف الجامع حديث رقم (١٩٠٤). وانظر الضعيفة برقم (١٠٩٤).

الصالح وتُركت فنعلم بذلك أنها محدثة وأنه لا يسوغ الأخذ بها، وإلا فالأصل الوسائل لها أحكام الغايات، وإذا كانت الغاية محمودة والمقصود محمود فالوسيلة لها حكم الغاية، إذا كانت الغاية واجبة فالوسيلة واجبة، إذا كان المقصد مستحبا فالوسيلة مستحبة.. وهكذا.

ووسائل الدعوة في هذا العصر مختلفة منها أشياء جائزة بالاتفاق، ومنها أشياء ممنوعة بين أهل العلم بالاتفاق، ومنها أشياء اختلف فيها هل تسوغ أم لا تسوغ.

هذا يجب إذن الرجوع في ذلك إلى أهل العلم في تحديد هل هذه الوسيلة جائزة أو ليست بجائزة فيما [...] من الوسائل إلى أهل الدعوة.

أسأل الله الكريم أن [يوفقنا] لما يحبه ويرضاه وأن يجعل اجتماعكم اجتماعا مرحوما وأن يشمل شملكم ويؤلف قلوبكم وأن يجعلكم قوة نعتز بها وأن يصلح لكم القول والعمل والنية وأن يغفر لكم ولوالديكم ويصلح أبناءكم وأهليكم.
وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس

٢	[المنهج وعلاقته بالعقيدة]
٣	[ضوابط ومهمات]
٣	[المهمة الأولى: العقيدة هي أول ما يدعى إليه]
٥	[المهمة الثانية: عقيدة ومنهج السلف الصالح هي السبيل الوحيد للنجاة]
٥	[المهمة الثالثة: عقيدة ومنهج السلف الصالح صالحة لكل زمان ومكان]
٦	[منهج أهل السنة والجماعة منهج شامل]
٨	[أهل السنة لا يعاملون من عاداهم بالمثل]
٨	[أسعي أهل السنة للاجتماع]
٩	[النص مقدم على العقل عند أهل السنة]
٩	[المهمة الرابعة: اهتمام أهل السنة بإنقاذ الناس من الضلال]
١٣	[الأسئلة]
١٣	سؤال (١): يسأل السائل ويقول: هل هناك فرق بين المنهج والعقيدة؟ وهل القدح في المنهج يوجب القدح في العقيدة؟
١٣	سؤال (٢): تعلمون يا شيخ ما يدور في الساحة الدعوية هذه الأيام من الفتن والنزاعات، ترون يا شيخ من يحاول أن يربي الشباب السلفي على منهج مخالف لما يقره السلف ويخالف ما يقره العلماء كسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وسماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وغيرهم من علماء الأمة فما موقفنا منهم؟
١٤	سؤال (٣): يسأل طالب علم في بداية الطلب بماذا يبدأ وكيف يبدأ؟
١٤	سؤال (٤): هناك من يستدل بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي بات عند الرجل الحديث المشهور على جواز الكذب لمصلحة الدعوة، هل هذا يصلح أن يستدل به؟
١٥	سؤال (٥): هل وسائل الدعوة توقيفية أو تتصل بالغايات، يسأل عن بعض الوسائل مثل التمثيليات والأناشيد وغيرها؟
١٧	الفهرس

